(الطفل)

أستيقظ في الفجر، ليس على صوت الأذان، فلا مسجد قرابة منزلي ولا زاوية، بل استيقظ على صوت بكاء طفل.

افتح النافذة وأخرج رأسي لأتأكد ان الصوت ليس من داخل شقتي، ولكن فتح النافذة لم يغير شيئاً، إذن..

الطفل في شقتي.

اشعر بالانزعاج، اهمس وانا اقف فوق السرير : من؟

يجيب الطفل بكلام غير مفهوم بفعل البكاء، ولكن الصوت عالي، وهو سمع همسي، اذن..

الطفل في غرفتي.

يزداد بكاءه فأتوتر، واحملق في الساعة على الحائط، العقرب يلدغ صاحبه، يدور ولا الحق نظرة، لا أعلم ما الوقت الأن، لا أعلم جدول مواعيدي، ولكني متأخر عن شيئ ما، لا اعلم ماهيته، لا اعلم جدواه، كل ما اعلم هو أني فقدته، وأني لن انساه.

اخرج للصالة الفارغة، وفراغها موحش، مزعج كالصمت، احياناً يزعجني الصمت، يثقب رأسي صوت اللاشئ، مثل البوح لفتاة بشعورك، والصمت منتظراً اجابتها، قد تصمت لثواني ولكنك.. تشعر بالألفية تمر، صوت الصالة صوت الصمت، صوت صمت صوت الوحدة، يكسر صمتي صراخ الطفل، اذن..

الطفل في الصالة.

اجري في انحاء الشقة، لا يبعد صوت الطفل ولا يقرب، وكأن صراخه اسفل قدمي، وكأن دموعه على وجهي، وفي الحمام، صوت بكاء الطفل له صدى، وأخبرتني أمي في الطفولة، أن البكاء في الحمام قد يُغضب الجن، وصادقت الجن من يومها، المخلوق الوحيد ، الذي يغضب لبكائي. متى يصمت ذلك الطفل؟

صدى صوته في الحمام يزعجني..

الطفل في الحمام.

اخرج من الشقة، وبكاءه يطاردني، اسرع في الجري، وبكاءه يزداد، توقعت أن يبعد الصوت، ولكنه لا يبعد، يزداد فقط.

وفي الشارع، تأكدت أنه حلم، عندما رأيت الناس عمالقة، اكبر من اللازم، اكبر من المعتاد، واكبر مني، والبيوت ايضاً، وشعرت بالخوف، وظللت أجري، حتى وجدت يداً عملاقة تعترضني، ونظرت للوجه العملاق، كان هذا حلاق الحي، ولكنه قد اصبح عملاق، انا في يد الحلاق، والطفل يصرخ اكثر فأكثر.

والحلاق يذهب نحو محله، وعندما دخلنا الى المحل، ونظرت الى المرآة، علمت أنه لم يكن حلم.. وأن الطفل الذي يبكي.. هو أنا !

***